٣٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى

{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} (البَقَرَة:١٦٥).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيْلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ} (التَّوْبَة:٢٤).

عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ). أَخْرَجَاهُ. (١)

وَلَهُمَا عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ؛ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُوْدَ فِي الكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ). (٢)

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى) إِلَى آخِرِهِ. (٣)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُوْنَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيْرٍ. (٤)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} (البَقَرَة:١٦٦)، قَالَ: (المَوَدَّةُ). (٥)

فِيْهِ مَسَائِلُ:
الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (البَقَرَة).
الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَة).
الثَّالِثَةُ: وُجُوْبُ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ.
الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الإِيْمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوْجِ مِنَ الإِسْلَامِ.

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (١٤)، وَمُسْلِمٌ في صحيحه برقم (٤٤).
٢) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (١٦)، وَمُسْلِمٌ في صحيحه برقم (٤٣).
٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٤١).
٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيْرِ (٤١٧/ ١٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَوْقُوْفًا ، وروى بعضه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٥٩١٥) ، وابن المبارك في الزهد برقم (٣٥٣).
٥) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيْرِهِ (٢٩٠/ ٣)، وابن أبي حاتم برقم (١٤٩٢).

الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَة قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.
السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ القَلْبِ الأَرْبَعة الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلَّا بِهَا.
السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ؛ أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.
الثَّامِنَةُ: تَفْسِيْرُ {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}.
التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المُشْرِكِيْنَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيْدًا.
العَاشِرَةُ: الوَعِيْدُ عَلَى مَنْ كَانَت الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِيْنِه.
الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

الشرح :

بعد أن انتهى المؤلف رحمه الله تعالى من ذكر بعض الأبواب التي تتعلق بالسحر وشعبه انتقل رحمه الله تعالى إلى ذكر بعض العبادات القلبية التي يجب على العبد تجريدها وإخلاصها لله سبحانه وتعالى ، وهذه العبادات التعرف عليها وعلى طرق وأسباب تكميلها مهم جدا للعبد المسلم ، وذلك لما سيأتي ذكره من الأدلة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى اعتنى بهذا الموضوع في رسالته المعروفة بالتحفة العراقية في الأعمال القلبية ، وهي محققة ومخدومة ، وهي موجودة في مجموع الفتاوى في المجلد العاشر ، وأيضا في المجلد العاشر من مجموع الفتاوى رسالة في أمراض القلوب وشفائها ، ثم بعد ذلك رسالة العبودية ، وهذه هي موارد هذا الموضوع الذي سنتكلم فيه بصفة إجمالية .

وهذا الباب يتكلم عن محبة الله سبحانه وتعالى ، وهي من العبادات القلبية بل المحبة هي روح العبودية وحقيقتها ، وعلى قدر محبة العبد لربه تكون محبة الرب جل وعلا لعبده ؛ وبمقدار ما يكمل العبد هذه المحبة ويترقى فيها ويأخذ بأسبابها الجالبة لها بمقدار ما تزداد له وتكمل له محبة الرب سبحانه وتعالى .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في كتابه القول السديد في تقديمه لهذا الباب : **أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له** ـ محبة الله جل وعلا هي أصل العبادة وأصل التعبد وأصل العبودية ـ **بل هي حقيقة العبادة ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها** ـ فتغلب محبة الإنسان للدنيا وللأهل والأموال والأوطان ـ **ويكون لها الحكم عليها** ـ فقبل أن يقدم على هذه المحاب الأخرى ينظر هل هذه المحبة التي سيقدم عليها يحبها الله عز وجل أم لا ؟

فمثلا فلان يحبك ؛ وهو يريدك أن تبادله المحبة ، فتنظر هل محبتك لهذا الشخص محبة في الله ولله أم لغير ذلك من أمور الدنيا ؟ فتكون محبة الله جل وعلا هي الحاكمة على جميع المحاب ـ **بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه** ـ فسعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة تكون بتكميله محبة العبودية ، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : **المحبة محركة** ، فالذي يحب الدنيا يتحرك لأجلها والذي يحب العلم يتحرك له ويسعى إليه ، فكل أحد من الناس يتحرك بحسب ما يحبه ، فالذي يحب الله جل وعلا يسعى إليه وإلى مرضاته ، فيسعى إلى ما يحبه المحبوب وهو الرب سبحانه وتعالى ، فالإنسان يقيس نفسه بحركته ، وبناء على قياسه حركته يستطيع أن يعرف قدر محبته ، هل يتحرك لله؟ هل يتحرك للعمل بأوامره؟ هل يتحرك لاجتناب نواهيه؟ هل يتحرك للبحث عن محابه؟ يقيس هذا وينظر في حياته إلى أي جهة يتحرك؟ وبناء على ذلك يستطيع أن يعرف قدر محبته .

وفي هذا الباب نتكلم على محبة العبادة ، التي هي حقيقة العبودية ، وهي التي تدفع العبد إلى امتثال الأوامر رغبة واختيارا ؛ يعني يأتي الأمر ويمتثل له ، فيأتي الصلاة ، ويؤدي الفرائض رغبة واختيارا ، اختيارا: يعني لا أحد يكرهه ، رغبة : يعني فيما عند الله جل وعلا من الثواب وحسن الجزاء وحسن العطاء. ويترك النواهي فيترك ما نهى الله جل وعلا عنه رغبة واختيارا وخوفا مما أعده الله جل وعلا من العذاب والنكال الأليم لمن يتعدى حدوده ، هذا هو العبد المحب الذي يأتي الأوامر رغبة فيما عند الله جل وعلا وطواعية من نفسه ويترك المناهي والمعاصي رهبة وخوفا منه جل وعلا وخشية ، واختيارا بنفسه .

والمحبة تنقسم بوجه عام إلى ثلاثة أقسام :

محبة طبيعية ؛ ومحبة شرعية ؛ ومحبة شركية.

القسم الأول : المحبة الطبيعية : وأنواعها كثيرة ، وبعض أهل العلم يذكر لها أنواعا محصورة على سبيل المثال ، كمحبة الإنسان للطعام والشراب أو محبة الجائع للطعام ومحبة الظمآن للماء ، هذه محبة طبيعية جبلية ولا إشكال فيها .

ومنها : محبة الإشفاق ، مثل محبة الوالد لولده فهذه محبة إشفاق عليهم وخوف عليهم وحرص على ما ينفعهم ويصلحهم وهذه أيضا لا إشكال فيها .

ومنها : محبة إجلال وتعظيم كمحبة الولد لوالده والتلميذ لشيخه ، فهي محبة احترام وتوقير فلا إشكال فيها .

ومنها محبة إلفة وأنس وائتناس : مثل محبة المسافرين بعضهم لبعض ، جماعة يسافرون إلى مكان بعيد يجلسون مع بعضهم في السفر أياما ؛ فيحصل بينهم إلفة ومحبة وأنس جمعهم على ذلك السفر وإرادة أن يقضوا الأوقات ليصلوا إلى مآربهم ، وتكون أيضا لأصحاب التجارات وأصحاب الوظائف .

وكل هذه المحاب الطبيعية لا بد فيها من أن يبتعد الإنسان عن المحذورفيها مثل أن يقدم هذه المحاب في وقت من الأوقات أو زمن من الأزمان على محبة الله جل وعلا أو على محاب الله سبحانه وتعالى ، أو تجعله هذه المحبة يعصي الله جل وعلا أو يقع في الفسق ، كأن يستجيب لكلام الزوجة أو الأولاد أو أحد الأبوين في معصية الله جل وعلا، فهنا تخرج هذه المحبة من القسم الطبيعي إلى المحبة الممنوعة لغيرها، لأنها أعانت على منكر وأعانت على معصية .

ومن الأمور المهمة في المحبة الطبيعية ألا تكون هذه المحبة مساوية لمحبة الله جل وعلا ، فتقع في المحبة الشركية .

القسم الثاني: المحبة الشرعية : وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل لله جل وعلا، وتستلزم الطاعة والتعظيم والانقياد لله جل وعلا ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر   ما دار حتى قامت القطبان

ويلزم من ذلك السعي في مراد المحبوب ، وإيثار مراده على مرادك ، هذه المحبة الشرعية إذا صرف العبد شيئا منها لغير الله فقد وقع في **القسم الثالث وهو المحبة الشركية** : التي هي الشرك الأكبر كمن يصرف هذه المحبة التي هي محبة العبادة للأولياء ولأصحاب القبور ويتعلق بهم ذلا وخضوعا وتذللا أعظم أو قد يساوي بهذا التذلل والخضوع ما يفعله لله جل وعلا وبعضهم يزيد فيتذلل لأصحاب الأضرحة والأولياء ويخضع لهم بما لا يفعله عند بيت الله جل وعلا وفي بلده الحرام ؛ وإذا اطلعت على ما يفعله بعض هؤلاء من سيلان دموعهم حول الأضرحة ومناجاة صاحب الضريح ، تعلم أنه في غاية الذلة والخضوع ، وما ذلك إلا لأنه جمع له غاية المحبة ، وهذا من صرف المحبة التي هي حقيقة العبودية وما يلزم منها لغير الله ، فيقع هذا الصارف في الشرك الأكبر المخرج من الملة .

المؤلف رحمه الله تعالى لم يضع ترجمة لهذا الباب كما قال : **باب ما جاء في التطير، باب ما جاء في النشرة ، باب ما جاء في السحر،** وغير ذلك وإنما

اكتفى بذكر الآية فقال : **باب قول الله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾** وكأنه يريد عقد باب للمحبة ، وهذا مضمون هذا الباب ، باب في محبة الله جل وعلا وفي وجوب محبته .

الدليل الأول :

{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} (البَقَرَة:١٦٥).

قوله : ﴿أندادا﴾ الأنداد : جمع ند، والند هو المثيل والنظير، وقد جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين **قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(١)** فالذي خلقك هو الذي يجب أن تصرف له العبادة ، لأنه الذي انفرد بالربوبية ، بالخلق والرزق والملك والتدبير .

قوله :﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ يتخذ من دون الله أو مع الله كما في تفسير قوله : **﴿يحبونهم كحب الله﴾** يحبون هؤلاء الأنداد كحب الله ، وهذه تحتمل أحد تفسيرين ؛ **الأول :** أن هؤلاء المشركين الذين يتخذون من دون الله أندادا يحبون الأنداد كحبهم لله جل وعلا ، فأثبت لهم محبة الله جل وعلا ، لكنه حصل فيه تشريك وتسوية كما قالوا **﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين﴾** ومعلوم أنهم لم يسووهم بالله في الخلق كما في قوله : **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** فلم يقل أحد من المشركين أن اللات أو العزى خلقت هذا الكون ولم يزعم أحد من المشركين أن صنم مناة مثلا خلق أبا جهل أو أبا لهب أو غير ذلك؛ فهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق وإنما ساوَوهم في المحبة .

والله ما ساووهم بالله في … خلق ولا رزق ولا إحسان
فالله عندهم هو الخلاق والر … زاق مولى الفضل والإحسان
لكنهم ساووهم بالله في … حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما … جعلوا المحبة قط للرحمن

القول الثاني: ﴿يحبونهم كحب الله﴾ كحب المؤمنين لله ، فأصحاب الأنداد والأوثان يحبون أندادهم وأصنامهم كحب أهل الإيمان لله جل وعلا ، والقول الأول رجحه كثير من المفسرين والمحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٤٧٧) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٤١ – (٨٦)) .

ثم قال: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ويقال فيها : إن الذين آمنوا أشد حبا لله من حب المشركين لله ؛ أو يقال : أشد حبا لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم ، فهذه الآية دلت على أن من أحب شيئا كائنا ما كان كحب الله ـ يساويه بالله جل وعلا في المحبة والتعظيم ـ فقد اتخذه ندا لله .

وهذا هو وجه الشاهد من الآية الكريمة ؛ والمؤلف رحمه الله تعالى أتى بالآية التي تليها في آخر الباب فقال: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب. إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ ، ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾** قال المودة. فذكرها في آخر الباب لعله أراد أن يذكر قبل ذلك أسباب المحبة أو الأسباب الجالبة للمحبة وعلامات المحبين ثم ختم هذا الباب بعكس هذه الأسباب ؛ وهي الأسباب التي تتقطع يوم القيامة ولا تبقى ، الذي يحب أحدا من أجل دنيا أو من أجل صورة تعجبه أو من أجل عشق أو من أجل عصبية قبلية ، فكل هذه الأسباب تتقطع في الآخرة **﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾** فلعل المؤلف رحمه الله تعالى أراد أن ينبه على هذا المعنى ، لذلك أخر الاستشهاد بهذه الآية .

الدليل الثاني :

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيْلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ} (التَّوْبَة: ٢٤).

ذكر في الآية ثمانية أشياء ، إن كانت هذه الثمانية أو بعضها **﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾** وهذا تهديد لمن يقدم هذه الثمانية أو شيئا منها على محبة الله جل وعلا وعلى الهجرة والجهاد في سبيله **﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾** هذا هو المعنى الإجمالي للآية الكريمة .

قوله :﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا أمر من الله جل وعلا لنبيه أن يقول : **﴿ إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾** بعض المفسرين يذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا بمكة ؛ ولما طلب منهم الهجرة إلى المدينة قالوا : إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وقطعت أرحامنا فنزلت .

والآية عامة في هؤلاء وفي غيرهم ممن يقدم المال أو الدنيا أو الأهل أو الأولاد أو الإخوان أو العشيرة على ما يحبه الله جل وعلا ويرضاه .

قوله :﴿قل إن كان آباؤكم﴾ قدم الآباء ثم ثنى بالأبناء لعظم التصاقهم بالشخص، الأصول والفروع ، **﴿وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ العشيرة** : هم القرابة الأدنون في العائلة أوالقبيلة ، **﴿وأموال اقترفتموها﴾** يعني اكتسبتموها سواء كانت من حلال أو من حرام ، وبعضهم يقول اقترفتموها من حرام ؛ وهي عامة **﴿وتجارة تخشون كسادها﴾** يعني تخشون فوات وقت رواجها ، لأن لها وقتا وموسما معينا تروج فيه وتباع فيه بأسعار عالية فتخشون من أن يفوتكم هذا الرواج وبالتالي يفوتكم الربح **﴿ومساكن ترضونها﴾** من البيوت والقصور وغير ذلك ، **(ترضونها)** يعني تحبونها وتعجبكم الإقامة بها ، فقد تفضل البلد لجمال نسيمه واعتدال هوائه أو لحلاوة أرضه أو لأنها أرض ليس فيها وباء أو أمراض وتترك الأرض التي فيها الطاعة وفيها عبادة الله سبحانه وتعالى وفيها عباد الله الصالحون وتقيم في أرض فيها معصية أو فيها منكر وقد يسعك أن تذهب إلى غيرها ، والهجرة من أرض المعاصي مشروعة ومستحبة لمن قدر عليها والإمام ابن قدامة هاجر من العراق لما كثر فيها سب السلف الصالح ، فيسن للإنسان ويندب له أن يترك البلدة التي يغلب عليها المعصية إلى ما هي أفضل وأحسن بحسب المصلحة والقدرة ؛ فالتكاليف منوطة بالقدرة ، وهذه من القواعد الفقهية المقررة .

قوله : ﴿أحب إليكم﴾ أحب: خبر كان ، **و(آباؤكم)** اسم كان ؛ **وأبناؤكم** معطوف عليها، فكل هذه المرفوعات معطوفة على مرفوع ، ثم قال **﴿أحب إليكم﴾** أحب إليكم من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم **﴿وجهاد في سبيله﴾** قال **مقاتل:** يعني الهجرة في سبيل الله أو الهجرة في ذلك الوقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة **﴿فتربصوا﴾** وهذا وعيد لمن قدم هذه الثمانية على محبة الله ورسوله ، يعني انتظروا ما يحل بكم من عقابه **﴿حتى يأتي الله بأمره﴾** قيل : **بأمره** ؛ يعني بعقابه ؛ قاله **الحسن البصري**، وقال **عطاء**: **﴿حتى يأتي الله بأمره﴾** يعني بقضائه بما يشاء سبحانه وتعالى أن يقضي به في هؤلاء الذين تركوا الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، أو **﴿حتى يأتي الله بأمره﴾** بفتح مكة ، قاله الإمام **مجاهد بن جبر**، وقد حصل هذا وصارت مكة بعد ذلك دار إسلام ، ليس منها هجرة ولا يكون منها هجرة .

والمؤلف رحمه الله تعالى أراد أن يستشهد بهذه الآية الكريمة على أنه يجب على العبد أن يقدم محبة الرب جل وعلا ومحبة ما يحبه سبحانه وتعالى على الأصناف الثمانية أو على أحدها ، وهذه الآية شبيهة المعنى بقوله تعالى : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** قال **الحسن البصري**: لما كثر

المدعون للمحبة طولبوا بالبينة . والبينة **﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾** فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله سبحانه وتعالى ؛ لأنك إذا أحببت الله جل وعلا وأردت أن تفرده بحقيقة المحبة فلا بد أن تعرف محبوباته جل وعلا وتعرف ما يكرهه جل وعلا، وهذا لا سبيل له إلا عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لذلك نحن نحب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه جاءنا بالبينات والهدى ولأنه جاءنا بطريق المحبة وبين لنا سبيل المحبة ، ولأنه خير من حقق هذه المحبة على أكمل الوجوه صلى الله عليه وسلم .

الدليل الثالث :

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ). أَخْرَجَاهُ. (١)

قوله : (لا يؤمن أحدكم) أي لا يؤمن الإيمان الواجب ، فالمنفي هنا كمال الإيمان الواجب ؛ يعني الذي يجب عليه أن يأتي به وإذا تركه فإنه يكون متوعدا بالعقوبة وليس كمال الإيمان المستحب .

قوله :«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه» يعني يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه **«من ولده ووالده»** وقدم هنا الولد لأن لحاجة الابن إلى الأب وخاصة إذا كانوا صغارا ، وأيضا يتعلق الآباء بأبنائهم وقد يقدمون مصلحتهم وما يحبون على محاب الله جل وعلا .

قوله : «من ولده ووالده والناس أجمعين» خصص الآباء والأبناء ثم عمم(والناس أجمعين) .

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : **يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ»**(٢) أي الآن حصل كمال الإيمان، عندما تقدم محبته صلى الله عليه وسلم على محبة الأهل والأولاد والوالدين والعشيرة والناس أجمعين ؛ وهذه المحبة من لوازمها ومقتضياتها ألا تقدم قولا على قوله صلى الله عليه وسلم حتى لو كان قول إمام من الأئمة حتى لو كان قول والديك

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (١٤)، وَمُسْلِمٌ في صحيحه برقم (٤٤).

٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٦٣٢) .

وأقرب الناس عندك ؛ فلا تتم لك هذه المحبة ولا يكمل هذا الإيمان حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله هو المقدم وهو أحب إليك من الناس أجمعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: **{وقد قدمنا أن من محبة الله تعالى محبة ما أحب}** .

الدليل الرابع :

وَلَهُمَا عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ؛ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُوْدَ فِي الكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ). (١)

وَفِي رِوَايَةٍ: (لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى) إِلَى آخِرِهِ. (٢)

قوله : (ولهما) يعني البخاري ومسلما ؛ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان»** فالإيمان له حلاوة ولذة ، يحسها أهل الإيمان ، هناك حلاوة حسية يذوقها الإنسان في الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك ولكن هذه الحلاوة التي يتذوقها أهل الإيمان من نوع آخر، لا شيء في الدنيا أحلى ولا ألذ ولا أهنأ منها ؛ وهي حلاوة الإيمان ؛ ولا تجد هذه الحلاوة حتى تدرك أمورا وتحصلها وقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ؛ وبمفهوم المخالفة من لم يحصل هذه الثلاثة أو أحدها لا تحصل له اللذة ، أو إذا حصل بعضها دون بعض يحصل عليه النقص بمقدار ما فاته ، وكما في صحيح مسلم : **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»**(٣) إذا هذه المسألة فيها ذوق وفيها حلاوة وفيها سرور، فكل واحد عليه أن يسأل نفسه هل هو إذا فتش في نفسه يجد أنه ذاق هذه الحلاوة ؟ومن لم يجدها فعليه أن يراجع نفسه ويبحث عن الخلل والطريق سهل ميسور على من يسره الله له .

قوله : «ثلاث من كن فيه وجد بهن» يعني ثلاث خصال .

---

١) رواه البُخَارِيُّ في صحيحه برقم (١٦)، وَمُسْلِمٌ في صحيحه برقم (٤٣).

٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٤١).

٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٦ – (٣٤)) .

قوله : (من كن فيه وجد بهن): فمن لم توجد فيه لم يجد حلاوة الإيمان ، هذا هو مفهوم المخالفة ، لذلك المؤلف بعد هذه الرواية أتى برواية أخرى في صحيح البخاري «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى**» فهذا الحديث «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» يدل بمفهوم المخالفة على أن من لم يحصل هذه الثلاث لم يجد حلاوة الإيمان ؛ أما الرواية الثانية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان**» هذه نص يعني لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحصل هذه الثلاثة ؛ وهذا هو سبب إيراد المؤلف هذه الرواية بعد الرواية الأولى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في المجلد العاشر ([1]) وهذا المجلد يسمى **مجلد السلوك** : **أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ وَجْدَ الْحَلَاوَةِ بِالشَّيْءِ يَتْبَعُ الْمَحَبَّةَ لَهُ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَوْ اشْتَهَاهُ إذَا حَصَلَ لَهُ مُرَادُهُ فَإِنَّهُ يَجِدُ الْحَلَاوَةَ وَاللَّذَّةَ وَالسُّرُورَ بِذَلِكَ وَاللَّذَّةُ أَمْرٌ يَحْصُلُ عَقِيبَ إدْرَاكِ الْمُلَائِمِ الَّذِي هُوَ الْمَحْبُوبُ أَوْ الْمُشْتَهَى** ــ إذا اللذة والسرور تحصل عندما يدرك الإنسان الشيء الذي يلائمه سواء كان من طعام أم من شراب أم من زوجة أم من صاحب أو أي شيء اشتهاه ؛ فعندك ثلاث مراحل : المحبة أو الاشتهاء وهذا يكون في الأول ثم يسعى الإنسان لإدراك هذا المحبوب أو هذا الذي يشتهيه فإذا حصل هذا الذي يشتهيه ويريده حصلت عنده اللذة والسرور والاستمتاع ؛ ولا تحصل هذه اللذة لمن لم يدرك ؛ لأن من الناس من يحب الخير والسعادة ويحب أمور الإيمان لكنه لم يسع لتحصيلها، ويكتفي بمجرد الكلام والرغبة .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

وَإِنَّمَا الدِّين الْحق هُوَ تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة لله بِكُل وَجه وَهُوَ تَحْقِيق محبَّة الله بِكُل دَرَجَة وبقدر تَكْمِيل الْعُبُودِيَّة تكمل محبَّة العَبْد لرَبه وتكمل محبَّة الرب لعَبْدِهِ وبقدر نقص هَذَا يكون نقص هَذَا ــ بل لا يكون العمل لله إلا إذا جمع الوصفين ، أن يكون لله وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الواجب والمستحب ، يعني تحصيل الأمور الواجبة وتحصيل الأمور المستحبة كما قال تعالى﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾ فالشرط الأول **(فليعمل عملا صالحا)** هذا شرط الاتباع أو توحيد المرسَل ؛ والشرط الثاني الإخلاص. ـ **وَكلما كَانَ فِي الْقلب حب لغير الله كَانَت فِيهِ عبودية لغير الله بِحَسب ذَلِك وَكلما كَانَ فِيهِ**

---

[1]) مجموع الفتاوى المجلد العاشر (٢٠٥) .

عبودية لغير الله كَانَ فِيهِ حب لغير الله بِحَسب ذَلِك . وكل محبَّة لَا تكون لله فَهِيَ بَاطِلَة وكل عمل لَا يُرَاد بِهِ وَجه الله فَهُوَ بَاطِل فـ " الدُّنْيَا ملعونة مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لله " وَلَا يكون لله إِلَّا مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ الْمَشْرُوع.

وقال رحمه الله تعالى كما في الفتاوى (١) :

فَإِنَّ الْمُخْلِصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ لِغَيْرِهِ ــ فإذا ملكت محبة الله جل وعلا شغاف قلب العبد لم يقدم عليها محاب أي أحد كائنا ما كان ؛ لكن الخلل يأتينا من نقص هذه المحبة في قلوبنا ومن عدم الاهتمام بهذا الجانب ــ **وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ إذْ لَيْسَ عِنْدَ الْقَلْبِ لَا أَحْلَى وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ وَلَا أَلْيَنَ وَلَا أَنْعَمَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ الْمُتَضَمِّنِ عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ وَإِخْلَاصَهُ الدِّينَ لَهُ وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْجِذَابَ الْقَلْبِ إلَى اللَّهِ** ــ فانجذاب القلب ليس كما يقول الصوفية : هو عبارة عن خزعبلات وترهات بل انجذاب القلب إلى الله جل وعلا يكون بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فيحصل القلب على المحبة أو فتحصل المحبة في القلب ــ **فَيَصِيرُ الْقَلْبُ مُنِيبًا إلَى اللَّهِ خَائِفًا مِنْهُ رَاغِبًا رَاهِبًا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} إذْ الْمُحِبُّ يَخَافُ مِنْ زَوَالِ مَطْلُوبِهِ وَحُصُولِ مَرْغُوبِهِ** ــ فهو سعى للمحبة وسعى في تحصيلها و تكميلها ابتغاء وجه الله جل وعلا وابتغاء الموعود الذي وعد به ومع ذلك يخاف ألا يتحقق له ذلك ، لتقصير منه أو لنقص فيه ، فهو يسعى دائما لتكميل هذه المحبة ويخاف ألا يكون أتى بها على الوجه الذي يرضي ربه ومولاه جل وعلا ، فهو دائما يسعى بين المحبة والخوف والرجاء، فعندما يأتي بالطاعات يرجو أن تقبل منه ويرجو أن يكون أتى بمراضي الله ومحاب الله ؛ فالعبد دائما بين هذه الثلاث : المحبة قائده ، والخوف والرجاء جناحان يطير بهما ، وقد جعل أهل العلم المحبة بمثابة الرأس للجسد ؛ والخوف والرجاء بمثابة الجناحين ؛ قال تعالى **﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾** فالأنبياء والمرسلون والصالحون كلهم يسعى إلى رضوان الله جل وعلا وإلى محابه وأن يحققوا هذه المحبة على الوجه الذي يرضيه ومع ذلك فهم **(يرجون رحمته ويخافون عذابه)** وهذا رد على المتصوفة وما نسب إلى رابعة العدوية من قولها : اللهم إن كنت أعبدك خوفا من نارك فأدخلنيها وإن كنت أعبدك رغبة في جنتك فلا تدخلنيها

---

١) مجموع الفتاوى لابن تيمية : (١٠ / ٢٢٥).

. والله جل وعلا ذكر أن عباده الصالحين يدعونه رغبا ورهبا ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات** ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ وذكر أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه فأولياء الله جل وعلا يجمعون بين هذه الثلاثة : المحبة والخوف والرجاء ؛ لذلك قال بعض أهل العلم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ـ يعني هو من الخوارج الذين يأخذون بنصوص الوعيد ويتركون نصوص الوعد ـ ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ؛ والمؤمن الموحد من عبد الله بالحب والخوف والرجاء .

يقول شيخ الإسلام كما في الفتاوى (١) :

فَحَلَاوَةُ الْإِيمَانِ الْمُتَضَمِّنَةُ مِنْ اللَّذَّةِ بِهِ وَالْفَرَحِ مَا يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ الْوَاجِدُ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ تَتْبَعُ كَمَالَ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ ــ يعني هذه الحلاوة تكمل عنده وتزداد بتكميل المحبة لله ؛ فكلما ازداد حبا لله جل وعلا ازداد إحساسا بهذه الحلاوة وبتلك اللذة ــ **وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ. تَكْمِيلُ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ** ــ فالعبد دائما يسعى في تكميلها ــ **وَتَفْرِيعُهَا** ـ ثانيا: تفريعها ونسخ الشروح نقلت تفريغها ، وفي الفتاوى وهو الصواب : تفريعها يعني ما يتفرع من هذه المحبة ــ **وَدَفْعُ ضِدِّهَا. " فَتَكْمِيلُهَا " أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُكْتَفَى فِيهَا بِأَصْلِ الْحُبِّ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا كَمَا تَقَدَّمَ** ــ يعني ممن يحب المحبة الطبيعية ، فليس الكلام هنا على محبة الأنداد ، لا ، فهذا أمر منتهي لأنها ستكون محبة شركية ، لكن المقصود أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما يعني من أهل أو أصحاب المحبة الطبيعية ، فتكون أعظم مما سواهما : من زوجة ومن مال ومن أولاد ومن أهل ومن تجارة ومن بلد ومن عشيرة ــ و **" تَفْرِيعُهَا " أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ** ـ ما يتفرع عنها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله : فلا يحبه لأجل دنيا ولا لأجل مصلحة ، فيحبه لأنه مطيع لله مجتهد في الطاعات وفي العمل الصالح ، وعلامة ذلك أن هذه المحبة لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر، وأهل العلم جعلوا قاعدة في ذلك : أن هذه المحبة التي تكون لله لا تنقص بالجفاء ؛ يعني لو أن صاحبك لم يصلك لفترة طويلة فلا ينبغي التثريب عليه أو السخط والغضب منه وينبغي ألا تنقص هذه المحبة ؛ فأنت أحببته من أجل أنه مطيع وعابد وداعية وغير ذلك ، لذلك عليك أن تعذره

---

١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٥) .

فربما يكون عنده ما يشغله عنك من مرض ونحوه ، وربما يكون عنده من الأعذار ما لا تعلمه أنت، وكذلك هذه المحبة لا تزيد بالبر، فمحبة العبودية ومحبة الطاعة لا تزداد بالأمور الدنيوية ، وإنما تزداد إذا وجدته يسعى حثيثا في أمور الآخرة ، في الاجتهاد في الطاعات والعبادات والعمل الصالح .
والإمام أحمد رحمه الله تعالى يروى عنه أنه يقول : كم من شخص لا نراه في السنة إلا مرة هو أحب إلينا ممن نراه في اليوم أكثر من مرة . لأن هذا الإنسان أحرص على الطاعة وعلى العبادة والعلم من ذلك .
ثم قال شيخ الإسلام : و" دَفْعُ ضِدِّهَا " أَنْ يَكْرَهَ ضِدَّ الْإِيمَانِ أَعْظَمَ مِنْ كَرَاهَتِهِ الْإِلْقَاءَ فِي النَّارِ ـــ يدفع ضد مكملات الإيمان بأن يكره ضد الإيمان وهو الكفر أعظم من كراهته الإلقاء في النار ؛ ويكره أن يصير في الكفر أو يعود في الكفر كما في الحديث «**أن يكره أن يعود في الكفر**» وبعض أهل العلم فسر العود هنا ليس معناه أنه كان كافرا وأسلم إنما العود معناه الصيرورة ؛ أن يكره أن يصير في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، فهذا الإيمان الذي عند المسلم لا تساويه أموال الدنيا ولا ملء الأرض ذهبا ولا يساويه أي لذة من لذات الدنيا ونعيمها ، فالإيمان هو النجاة وهو السعادة وهو اللذة الحقيقية في الدنيا والآخرة .
إذا هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يتعلق بكمال محبة العبد لله جل وعلا، أن ذلك يتم بثلاثة أشياء: تكميل هذه المحبة ، وتفريع هذه المحبة أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يدفع ضد هذه المحبة ، يدفع ضد الإيمان وهو الشرك ، فيكره الإنسان الشرك ويكره الكفر؛ ويقال بأن الإمام أحمد رحمه الله تعالى كان إذا رأى نصرانيا غض من بصره وكره أن ينظر إليه لأنه يعبد الصلبان من دون الرحمن سبحانه وتعالى ، يكره الكفر ويكره الشرك ويكره الصلبان والأصنام والأوثان ويكره أن يكون بين هؤلاء في معابدهم أو في دورهم أعظم مما يكره أن يلقى في النار .
ففي قوله : «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» فيستلذ الطاعات ويتحمل المشاق ، يستلذ الطاعات لله وفي سبيل الله ويتحمل المشاق لله جل وعلا ؛ و«**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» قال **(سواهما)** بضمير التثنية لتلازم المحبتين ؛ لأن محبة النبي صلى الله عليه وسلم لازمة لمحبة الله لأن الله أمر بها فقال :**﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** يعني فاتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أتانا بهذا الخير وبهذا الهدى وبما فيه السعادة والفلاح ، ولأنه صلى الله عليه وسلم

هو أكمل من حقق هذه المحبة ـ محبة العبودية ـ وخير من حقق هذه العبودية من خلق الله سبحانه وتعالى ، ولأنه هو الذي جاء بالقرآن الكريم من عند الله جل وعلا الذي فيه الهدى والنور، فمن أجل ذلك وغيره نحب النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من محبتنا لأولادنا وآبائنا والناس أجمعين .

الدليل الرابع :

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ ـ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ ـ حَتَّى يَكُوْنَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ. (١)

ثم انتقل المؤلف رحمه الله تعالى إلى بعض لوازم المحبة فذكر أثرا عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه أربعة أمور من لوازم المحبة : وهي الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله .

قوله : «**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك**» الوَلاية ـ بالفتح ـ معناها المحبة ؛ والوِلاية ـ بالكسرـ معناها الإمارة ، هذا على القول الراجح ، وبعضهم يجعلها سواء وبعضهم يفصل يقول أحدهما في الوَلاية الحسية والثانية في المعنوية. **قوله : (من أحب في الله)** الحب في الله والبغض في الله تابع لمحبة الرب جل وعلا فيكمل بكمال هذه المحبة ويضعف بضعفها ، جاء في سنن أبي داود من حديث أبي أمامة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : **«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(٢)** ، وجاء في مسند أحمد بإسناد حسن **«إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» (٣)** فالحب في الله هو أن تحب العبد المطيع ، أن تحب العبد المؤمن لأنه يحب الله ويطيعه ويأتي بما يحبه الله ويسارع إلى الخيرات ويقيم شعائر الله جل وعلا ، والبغض في الله معناه أن تكره وتبغض الكافر والمشرك وتبغض العاصي من أجل معصيته ، فالعاصي المسلم أو المؤمن يحب على قدر ما فيه من الإيمان ويكره ويبغض على قدر ما فيه من

---

١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ (١٢/ ٤١٧) عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَوْقُوفًا ، وروى بعضه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٥٩١٥) ، وابن المبارك في الزهد برقم (٣٥٣).

٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٨١) .

٣) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٥٢٤) .

المعصية هذا اسمه الفاسق الملي، الفاسق من أهل القبلة ، وكما قال حافظ حكمي رحمه الله :

والفاسق الملي ذو العصيان لم ينف عنه مطلق الإيمان

فالفاسق يحب لما فيه من إيمان ويبغض لما فيه من الفسق والمعصية ، فلا يحب كلية ولا يبغض كلية أما الكافر فإنه يبغض كلية والمشرك كذلك والمنافق كذلك .

قوله : (من أحب في الله) (في) يحتمل أن تكون بدلية أو ظرفية ؛ فمعناها لأجل الله أو لأجل طاعته لله ؛ ويحتمل أن تكون **(في)** ظرفية ، يعني أحب في ذات الله وفي شريعة الله جل وعلا . **(وأبغض)**: يعني الكفار والمشركين وأهل البدع والمعاصي في الله . **(ووالى في الله)**: الولاية هي المحبة والنصرة والإعانة والمساعدة ، **(وعادى في الله)** أي أهل الكفر والشرك والعصيان ولو كان أقرب قريب ؛ قال تعالى : **﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾** .

قوله: «**فإنما تنال ولاية الله بذلك**» يعني تصبح وليا لله جل وعلا إذا أحببت أولياءه وعاديت أعداءه .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة في الولي في كتابه الفرقان : أن الولي هو كل مؤمن تقي . فمن كان مؤمنا تقيا كان لله وليا . فليس الولي عندنا الذي نضعه على النعش فيجري ويطير- كما يزعمون - بل الولي هو كل مؤمن تقي . فكل مؤمن تقي يتقي الله جل وعلا فهو ولي لله جل وعلا كائنا ما كان في أي وقت أو زمان ، قال تعالى : **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾** .

قوله : « **فإنما تنال ولاية الله بذلك**» فهذه الأربعة التي ذكرها في الأثر هي ثمرة الإيمان ومن دعائم الإسلام ، الحب في الله والبغض في الله والولاء والبراء .

قوله : «ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك» فلن يجد عبد طعم الإيمان حتى يأتي بهذه الأربع : الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان والولاء والبراء .

قوله : «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس في أمر الدنيا» وابن عباس يقول هذا في عصره ؛ فإذا كان هذا في العصر الأول في عصر ابن عباس في

القرن الأول فماذا لو رأى ما في عصرنا الآن من مؤاخاة الناس ؟! لا نقول على أمر الدنيا بل مؤاخاتهم على المعاصي .

قوله :«وذلك لا يجدي على أهله شيئا» بل يضر أهله ويضر أصحابه في الدنيا والآخرة ؛ قال تعالى **﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾** فيوم القيامة كل الأسباب وكل الأواصر تنقطع إلا آصرة واحدة وهي المحبة في الله جل وعلا، وما كان لله دام واتصل وبقي في الآخرة ، وما كان لغير الله ينقطع ويضر صاحبه في الدنيا قبل الآخرة .

هذا الأثر رواه ابن جرير وابن المبارك والمروزي، وفيه ليث بن أبي سليم قال فيه ابن حجر: صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك ، والذهبي قال في ليث فيه ضعف يسير من سوء حفظه وبعضهم يحتج به .

وهذا الإسناد فيه اضطراب ، لكن ما ذكرناه من الأدلة الأخرى يشهد أن الحب في الله والبغض في الله والولاء والبراء من ثمرات الإيمان ومن دعائم الإسلام ؛ فأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله كما جاء في مسند أحمد .

الدليل الخامس :

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} (البَقَرَة:١٦٦)، قَالَ: (المَوَدَّةُ). (١)

ختم المؤلف هذا الباب بقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى **﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾** قال ابن عباس : أي المودة . المحبة التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم ولم تعد تنفعهم في الآخرة . وأهل العلم فسروها بأوسع من ذلك **﴿تقطعت بهم الأسباب﴾** يعني الصلات والقربات ، كل الصلات والقربات تنقطع في الآخرة ولا يبقى إلا السبب الديني الشرعي وهو الحب في الله والمودة التي أساسها الحب في الله ولله . فالملائكة تتبرأ وتقول الملائكة **﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾** وقال تعالى **﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾** وقال تعالى **﴿إذا تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾** .

- الأسباب الجالبة لمحبة الله جل وعلا كما ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالي:

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .

---

١) رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٩٠/ ٣)، وابن أبي حاتم برقم (١٤٩٢).

٢- التقرب الي الله جل وعلا بالنوافل بعد الفرائض، لحديث: "ما تقرب الي عبدي بشئ أحب الي مما افترضته عليه" الحديث .

٣- دوام ذكر الله تعالي علي كل حال بالقلب واللسان والجوارح.

٤- إثار محابه علي محابك عند غلبات الهوي .

٥- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدة آثار هذه الأسماء والصفات

٦- مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة ، هذا مما يزيد المحبة في قلب العبد .

٧- انكسار القلب بين يديه في الدعاء وفي العبادات .

٨- الخلوة به وقت النزول الإلهي، آخر الليل أن يخلو العبد بربه وقت النزول الإلهي .

٩- مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم ، تجلس مع أهل المحبة وأهل الصلاح وأهل الخير فيزداد إيمانك وتزداد محبتك .

١٠- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل، أي أي سبب يغلب علي ظنك أنه سيحول بينك وبين حب الله جل وعلا عليك فوراً أن تبتعد عنه كان ما كان من سبب إذا أردت أن تكون من المحبين الصادقين

انتهت الأسباب التي ذكرها ابن القيم في [مدارج السالكين] في أول المجلد الثالث، يقول: { فمن هذه المنازل العشرة وصل المحبون الي منازل المحبة ودخلوا علي الحبيب} .

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (البَقَرَةِ).

وقد سبق الكلام عليها .

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَةَ).

سبق الكلام عليها .

الثَّالِثَةُ: وُجُوْبُ مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ.

لحديث أنس رضي الله عنه .

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الإِيْمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوْجِ مِنَ الإِسْلَامِ.
لأن المقصود هنا نفي الإيمان الواجب الذي يستحق تاركه الوعيد وفيه رد على الخوارج .
الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيْمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.
وذلك بحسب تحقيق الثلاث خصال المذكورة في الحديث .
السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ القَلْبِ الأَرْبعة الَّتِيْ لا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلَّا بِهَا.
وهي المحبة في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله .
السَّابِعَةُ: فَهْمُ الصّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ؛ أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.
وهذا من عمق فقه ابن عباس الحبر البحر ؛ الذي كان عمر يقول له : غص يا غواص .
الثَّامِنَةُ: تَفْسِيْرُ {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}.
على ما سبق من سائر القربات والصلات التي بين الخلق .
التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المُشْرِكِيْنَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيْدًا.
كما في آية البقرة .
العَاشِرَةُ: الوَعِيْدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِيْنِهِ.
كما في آية براءة .
الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.
وهذا يدل على خطورة المحبة مع الله ؛ ورد على المخدوعين من الصوفية والروافض ومن نحى نحوهم ؛ فضلا عمن يحب الند أعظم من حب الله جل وعلا .

والله أعلم